ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

# تحولات الثقافة السياسية بين توجيه النخب وتأثير الفضاء الرقمي: دراسة في آليات تشكيل الوعي المجتمعي

# *Transformations of political culture between elite guidance and the influence of digital space: A study in the mechanisms of shaping societal consciousness*

سعيدي علاء الدين[1]*، نبيلة عدان[2]

[1] جامعة الجزائر 03، كلية علوم الإعلام والاتصال (الجزائر)، saidi.alaeddine@univ-alger3.dz

[2] جامعة الجزائر 03، كلية علوم الإعلام والاتصال (الجزائر)، addane.nabila@univ-alger3.dz

https://orcid.org/0000-0002-5194-3100

تاريخ الإستلام: 2026/07/19 تاريخ القبول: 2026/09/08

**ملخص:**

تعد الثقافة السياسية البوصلة التي توجه سلوك الأفراد والجماعات تجاه النظام السياسي، وإذا كانت هذه الثقافة في وقت مضى تنتج عبر مؤسسات التنشئة السياسية التقليدية، فإنها اليوم تتم عبر الفضاء الرقمي الذي تحول من مجرد متنفس للتعبير عن الآراء، إلى ساحة صراع مفتوحة تتنافس فيها النخب على فرض منطقها، بينما ينزاح الوعي المجتمعي تدريجيا إلى تعقيدات التوجيه الأفقي عبر التوصيات الخوارزمية، الناشطون، والمؤثرون.

ومن هذا المنطلق، تسلط هذه الدراسة الضوء على التحولات التي لحقت بالثقافة السياسية في العصر الرقمي، أين برزت نخب موازية في الفضاء الرقمي غير مرئية تحاول إعادة انتاج الوعي المجتمعي. وتخلص الدراسة إلى ضرورة الاستثمار في برامج تعليمية تدمج بين الثقافة السياسية التقليدية ومهارات تحليل المحتوى الرقمي، لضمان نشأة وعي مجتمعي متماسك قادر على مواجهة كل أشكال التضليل والتلاعب.

**الكلمات المفتاحية:** الثقافة السياسية؛ الفضاء الرقمي؛ مؤسسات التنشئة؛ النخب؛ الوعي المجتمعي.

**Abstract**:

Political culture is the compass that guides the behavior of individuals and groups toward the political system. While this culture was once produced through traditional institutions of political socialization, today it is shaped by the digital sphere, which has transformed from a mere outlet for expressing opinions into an open arena of conflict where elites compete to impose their logic. Meanwhile, societal consciousness is gradually shifting toward the complexities of horizontal manipulation through algorithmic recommendations, activists, and influencers.

From this perspective, this study sheds light on the transformations that have affected political culture in the digital age, where parallel, invisible elites have emerged in the digital space, attempting to reshape societal consciousness. The study concludes with the necessity of investing in educational programs that integrate traditional political culture with digital content analysis skills to ensure the development of a cohesive societal consciousness capable of confronting all forms of misinformation and manipulation.

**Keywords:** Political culture; Digital sphere; Institutions of socialization; Elites; Societal consciousness.

* المؤلف المرسل

## I. مقدمة

يشهد عصرنا الحالي تحولات مفصلية وعميقة على كافة الأصعدة وفي مختلف المجالات أين أصبح التغيير هو الثابت الوحيد، تغييرات مست المفاهيم والأسس والمعايير، وألقت بظلالها على المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء، ويعد موضوع الثقافة السياسية من المواضيع التي أعيد طرحها بعدما اقترنت بالتحولات التكنولوجية والمجال الافتراضي، أين أصبحت تثير نقاشات تتجاوز مجرد وصف الظواهر السطحية إلى البحث في آليات تشكيل الوعي المجتمعي في ظل الواقع الجديد، وفي عصر تتلاشى فيه الحدود بين الواقعي المادي والمجال الافتراضي، بين العمومي والخاص، وبين الموجه والمتفاعل.

فإذا كانت الثقافة السياسية تمثل ذلك المخزون الرمزي والقيمي الذي يحدد علاقة الفرد بالسلطة وبالنظام السياسي، والتي تمارس من قبل مؤسسات التنشئة السياسية التقليدية (الأسرة، المدرسة، الأحزاب..) فإن التحولات الذي اتسعت مع العصر الرقمي قد أعادت تعريف أدوات تشكيل هذا المخزون، وفتحت أبوابا جديدة للتأثير لم تكن متاحة من قبل، حيث كانت النخب السياسية والثقافية تحتكر أدوات الانتاج والتوجيه المعنوي للقيم والمعتقدات.

إن ما يشد الانتباه ويجعل الباحث يتمعن في دراسة تحولات الثقافة السياسية، يرجع إلى تنامي التوتر بين النخب التقليدية والنخب الناشئة (ما يعرف أيضا بالنخب الشبكية)، أين تستحوذ الأولى على منطق التوجيه الهرمي والمركزي وتعتمد على قنوات مضبوطة نسبيا على غرار التعليم، الإعلام التقليدي، الأحزاب ....الخ - رغم وجود بعد الاستثناءات أين أعادت النخب التقليدية هيكلة أجهزتها وهندسة برامجها لتتماشى وخصوصية العصر ومتطلبات منصات التواصل الاجتماعي- ، وبين منطق الانتشار الرقمي الذي يمتاز باللامركزية والسرعة والتفاعلية وتعدد المصادر. غير أن هذا التوتر لا يمكن اختزاله في معادلة صراع ثنائية بين نخب قديمة وجديدة، أو بين سلطة عليا وسلطة سفلى، بل هو أعمق من ذلك هو جدلية معقدة، تفرض على الباحث إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية التي أسست لدراسة الثقافة السياسية في العقود الماضية.

## II. إشكالية الدراسة

في خضم التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، حيث تتداخل الثورة الرقمية مع أزمات التمثيل السياسي، وفي فضاء تتلاشى فيه الحدود الجغرافية وتتداخل فيه الثقافات والخطابات، **كيف يعيد الفضاء الرقمي تشكيل الثقافة السياسية عبر منصات التواصل قبل المؤسسات التقليدية، لاسيما من حيث من يملك القدرة على التحكم في آليات تشكيل الوعي المجتمعي؟**

## III. أهمية الموضوع

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع في حد ذاته، حيث تشهد المجتمعات تحولات سياسية واجتماعية متسارعة، تتقاطع فيها أزمة التمثيل السياسي التقليدي مع الطفرة التكنولوجية واتساع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وتتفاعل فيها مطالب المواطنة والشفافية مع تحديات المعلومات المضللة واستراتيجيات التضليل التي تنتشر ويسوق لها عبر الفضاء الرقمي، هذا الفضاء الذي لم يعد مجرد أداة تقنية لنشر المعلومات، بل صار مساهما وفاعلا في صناعة الوعي، وميدانا للصراع بين النخب والفاعلين، وأضحى أيضا

ساحة لتشكيل الهويات السياسية، وأحيانا بديلا عن الفضاءات العمومية التقليدية- التي يحكمها جمود نسبي وسيطرة واضحة- في طرح الأفكار والنقاش.

**أولا: المقاربة النظرية والمفاهيمية للدراسة**

**أ/ مفاهيم الدراسة**

**1. مفهوم الثقافة**

**1.1.لغة**

هناك معاني لغوية عديدة للثقافة نحاول ترتيب بعض منها على سبيل الذكر لا الحصر من خلال أنها تعني (قرواز، 2024)

- **سرعة أخذ العلم وفهمه :**نقول: "ثَقِفَ الطالبُ العلمَ"؛ أي فهمه بسرعة.
- **تقويم المعوجّ من الأشياء :**نقول: "ثَقَّفَ الصانعُ الرمحَ"؛ أي سوّى اعوجاجه وأصلحه.
- **إدراك الشيء والحصول عليه الظفر به :**كما أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

**2.1. اصطلاحا**

تعني الثقافة في معانيها الاصطلاحية كل ما صنعته يد الانسان وعقله من أشياء ومظاهر في البيئة الاجتماعية الكل مقطاع الانسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية .

**في حين يعرفها تايلور** بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن ولأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع (كوش، 2007)

**أما ابن خلدون** فيرى أن العمران الذي هو صنع الانسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسد به النقص بين طبيعته الاولى، وخاصه في بيئته التي يعيش معيشة عامره زاخرة بالأدوات والصناع.

**أما حسب الجابري** فهي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغيرات والابداعات والاطلاعات التي يحتفظ بها في جماعه بشرية ( أبو شعرة، غباري، 2013)

**2. مفهوم الوعي**

**1.2 لغة**

من وعى الشيء أي حفظه وفهمه وقبله ( ابن منظور، 2000)، بمعنى استوعبه من جميع جوانبه لفظا وقصدا وغاية. في المعجم الوسيط: الوعي: الفقيه، الحافظ، الكيس، أي مميزا من هو واع. والوعي كلمة تفيد ضم الشيء. ووعى الشيء أي: حفظه وفهمه وقبله، ومن ثمة فهو واع (مجمع اللغة العربية، 1966)، ذلك أن الإلمام بالمدركات يسمح بالانتقال إلى مستوى أعلى في التعاطي مع تجليات الواقع والحياة.

**2.2 . اصطلاحا**

يعرف **جيورج هيجل (Hegel)** الوعي بوصفه معرفة الإنسان لذاته، حيث يرى أن كل تفكير يبدأ من الذات متجهاً نحو الطبيعة (الموضوع) لإقرار فهم الذات وتحقيق ماهيتها. فالإنسان يتعرف على ذاته حتما من خلال تمظهراتها الموضوعية التي تتجلى خارجا بشكل مباشر، وبذلك تصبح الطبيعة أو (العالم الخارجي) بمثابة مرآة لقياس وعي الذات، وفهمها، والارتقاء بها. إن الوعي يتبع حركة جدلية (ديالكتيكية): تنطلق فيها الفكرة من الذات نحو الموضوع، ثم ترتد إلى الذات محملة بالتعديل والتطوير الذي يحقق كينونتها. ومن هذا المنطلق، يدرك

الإنسان ذاته عبر ذلك التقابل والتجلي الحاصل بين (الذات) و(الموضوع)، ومن خلال مجموع التمثلات التي تتشكل في مواجهة الأشياء الخارجية.

وبناء على ذلك، فإن **الوعي بالذات يسبق الوعي بالموضوع**، حيث يمثل الموضوع مجرد وسيط ضروري لإثبات الوعي الذاتي أو تعديله. ولما كان العقل هو مصدر الفكر، فإن الوعي يتخذ طابعا عقليا خالصا ينطلق من العقل ذاته وهو توجه عقلاني صلب في تفسير ماهية الوعي، تبرز فيه الأفكار كمحدد أساسي لبناء الوعي وتشكيل الإلمام بالمحيط ومتطلبات الذات، تحقيقاً لسمو فكري يُعيد صياغة الواقع ويتعالى على تناقضاته. ومع ذلك، يخلص هيجل في نهاية مطافه الفلسفي إلى أن مصدر الوعي يكمن في **(الجوهر المطلق)**، مؤكداً أن الأساس الجوهري للعالم يقوم على وحدة الوجود والتفكير، وأن التمايز بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي ليس إلا تمايزاً فكرياً مجردا"(شربال، بلعيور، 2008)

### 3. مفهوم النخبة

إذ يرى اتجاه أول أنها مجموعة من الأفراد المؤهلين لممارسة السلطة، إما بحكم طبيعتهم ومزاياهم الذاتية أو نتيجة لاختيار الآخرين لهم. وفي هذا السياق، يطرح **"هارولد لاسويل "**تعريفاً يربط النخبة بالامتياز، واصفاً إياهم بأنهم الفئة الأكثر حظاً وتملّكاً للقيمة والمكانة في المجتمع. من جانبه، يُركز **"روبرت دال"** على البُعد الإجرائي، حيث يرى النخبة كأقلية فاعلة تتفوق خياراتها وتوجهاتها وتفرض سيادتها عند بروز الأزمات المتعلقة بالقضايا المجتمعية الأساسية. وفي إطار التحليل البنيوي، يصوغ **"رايت ميلز "** مفهوم "نخبة القوة"، محدداً إياها في تلك الدوائر الثلاث المتشابكة: الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والتي تحتكر صناعة القرارات المصيرية والرئيسية في المجتمع (صاغور، 2016)

وتعرف النخبة بأنها تلك الجماعة التي تمارس السلطة بشكل مباشر أو تملك القدرة على التأثير في القرار السياسي. وفي هذا السياق، ركز السوسيولوجي **"ويلفريدو باريتو"** على الفصل الحتمي بين الصفوة الحاكمة والجماهير المحكومة، مرجعاً استقرار النظام السياسي واستمراريته إلى طبيعة انفتاح النخبة وقنوات الوصول إليها، حيث صاغ مفهوم "دوران النخبة" ليعبر عن حركية التغيير عبر بعدين: دوران داخلي يتمثل في إحلال أفراد محل آخرين، ودوران خارجي يحدث عندما تستبدل الجماهير والفئات المتميزة النخبة القديمة بأكملها. من جهته، ركز **"غايتانو موسكا"** على تفكيك بناء هذه الصفوة في الديمقراطيات الحديثة، مسلطاً الضوء على دور التنظيمات الحزبية في تقسيم الطبقة السياسية ودفعها نحو التنافس البيني لكسب أصوات الأغلبية الشعبية(باقي، 2015).

### 4. مفهوم الفضاء الرقمي

يعرف الفضاء الرقمي بأنه بيئة افتراضية تتشكل داخل الأنظمة الحاسوبية وشبكات المعلومات عبر توظيف البرمجيات التطبيقية، وهو فضاء شبكي عابر للحدود الجغرافية والسياسية المألوفة. ورغم شيوع استخدامه، لا يوجد حتى الآن تعريف موحد أو صريح للمصطلح، حيث تركز المحاولات المفاهيمية على تقديم تعريفات إجرائية تتعدد بتعدد طبيعة الاستخدام أو المجال الوظيفي، إذ يمكن النظر إليه كمسارات رقمية تتيح لمستفيدين حقيقيين تبادل ومشاركة موارد وبيانات رقمية عبر عملية اتصال افتراضية بالكامل. ويحاكي الفضاء الرقمي أبعاد الفضاء التقليدي من خلال أربعة مكونات رئيسية **أولها "المكان"** المتمثل في العناوين الرقمية ومواقع الويب المستضافة على الخوادم، **وثانيها "المسافة"** التي تقاس بعدد معدات وأجهزة الشبكة التي تعبرها البيانات أثناء انتقالها بين الحاسبات، **وثالثها "الحجم"** المرتبط بالسعة التخزينية للمعلومات والوقت المستغرق لجلب وتنزيل

الملفات، **وأخيراً "المسار"** وهو الطريق الرقمي الذي تسلكه متصفحات الإنترنت للوصول بالمستخدم إلى الموقع المنشود (طاشور، 2015) .

**ب/ الثقافة السياسية والوعي المجتمعي: المفهوم، وعلاقة التأثر والتأثير**

يفترض مفهوم الثقافة السياسية أن المواقف والمشاعر والمعارف التي تشكل وتوجه السلوك السياسي في أي مجتمع ليست مجرد تجمعات عشوائية، بل هي أنماط متماسكة ومتكاملة ومترابطة. فعلى الرغم من الإمكانات الهائلة للتنوع في التوجهات السياسية، يمتلك كل مجتمع ثقافة سياسية محدودة ومتميزة تُضفي على العملية السياسية معنى وتوقعات وشكلا.

كما يفترض مفهوم الثقافة السياسية أن كل فرد، ضمن سياقه التاريخي الخاص، يتعلم ويدمج في شخصيته المعارف والمشاعر المتعلقة بسياسة شعبه ومجتمعه. وهذا بدوره يعني أن الثقافة السياسية لأي مجتمع محدودة، لكنها تتمتع ببنية راسخة بفضل المبادئ الأساسية لعلم النفس الديناميكي. يجب على كل جيل أن يستمد سياسته من الجيل السابق وأن يتفاعل مع هذه العملية لتطوير سياسته الخاصة. ويجب أن تخضع العملية برمتها للقوانين التي تحكم نمو الشخصية الفردية والثقافة العامة للمجتمع (Pye, Verba,1969)

إن مفهوم الثقافة السياسية، كما هو مستخدم في هذا المجلد، مستمد من ملاحظة **غابرييل ألموند** التي مفادها أن "كل نظام سياسي متجذر في نمط معين من التوجه نحو العمل السياسي". وهذا يعني أنه في أي نظام سياسي قائم، توجد مساحة سياسية ذاتية التنظيم تُضفي معنىً على النظام السياسي، وتُضفي انضباطًا على المؤسسات، وتُعطي دلالة اجتماعية للأفعال الفردية.

وبالتالي، يشير مفهوم الثقافة السياسية إلى أن تقاليد المجتمع، وروح مؤسساته العامة، وعواطف مواطنيه ومنطقهم الجماعي، وأسلوب قادته وقواعدهم، ليست مجرد نتاج عشوائي للتجربة التاريخية، بل تتكامل لتشكل جزءًا من كل متكامل ذي معنى، وشبكة مترابطة من العلاقات. بالنسبة للفرد، توفر الثقافة السياسية مبادئ توجيهية فعالة للسلوك السياسي، وبالنسبة للجماعة، توفر إطارًا منهجيًا للقيم والاعتبارات العقلانية،

مما يضمن التماسك في أداء المؤسسات والمنظمات. لذلك، وكما يشير فيربا في الفصل الختامي من هذا المجلد، فإن الثقافة السياسية "تتألف، في جوهرها، من نظام من المعتقدات التجريبية والتمثيلات الرمزية والقيم (Pye, Verba,1969)

**1. مفهوم الوعي الاجتماعي**

يتخذ مفهوم الوعي الاجتماعي عند علماء الاجتماع منحى جدليا يدور حول أسبقية الواقع الموضوعي على الذات العارفة، وهو تباين يعكس بدوره اختلاف الأنساق الفكرية والنظرية؛ وبناءً على ذلك، يُعرَّف هذا الوعي بأنه قدرة الأفراد على التعامل مع المواقف الحياتية المختلفة بما يضمن تحقيق المنفعة الفردية والجماعية في إطار من الاستقرار النسبي، ودون الإخلال بظواهر القيم ومعايير السلوك السائدة في المجتمع. ورغم أن الوعي قد يتعرض لمؤثرات وظروف خارجية تؤدي أحياناً إلى قصور أو ضبابية في عقلانية الأفراد، إلا أنه يظل في جوهره حكماً يستمد مبرراته من الواقع ومنطق الإدراك بقطع النظر عن منطلقاته. ومن منظور آخر، يُعرَّف الوعي الاجتماعي بأنه اتجاه عقلي انعكاسي يُمكن الفرد من إدراك ذاته وبيئته المحيطة بمستويات متفاوتة من الوضوح والتعقيد، ليشمل بذلك وعي الفرد بوظائفه العقلية والجسدية، وإدراكه لعلاقاته بالعالم الخارجي بوصفه كائناً مستقلا

وعضوا في جماعة؛ وهو ما يؤكد أن الوعي ينطلق من أبعاد ذاتية أولا دون أن ينفصل عن سياقه الاجتماعي، متأثرا بالفروق الفردية في درجات الفهم والاستيعاب (شربال، بلعيور، 2008).

### 1.1. مكونات الوعي الاجتماعي

يتشكل بنيان الوعي الاجتماعي من ثلاثة مكونات رئيسية تحدد موجهات السلوك البشري وتفاعلاته داخل البيئة المجتمعية، والتي تتمثل في (شربال، بلعيور، 2008):

- **القيم :(Values)** تمثل المنظومة المرجعية للتفضيلات والأحكام التي يتبناها الأفراد تجاه الأشياء، والمواقف، والسلوكيات في الحياة اليومية، وتستند أساساً إلى مبادئ وأفكار يُعتقد في نجاعتها وجدواها. وتعمل هذه القيم كقاعدة لتأسيس العلاقات الاجتماعية؛ إذ إن الربط بين القيمة والسلوك المُنتهج يُنتج وعياً واقعياً يُشكل الواقع محكه الأساسي، إلى جانب قنوات الضبط الأخرى كالقوانين، والأعراف، والتقاليد السائدة.
- **الاتجاهات :(Attitudes)** تعرف بأنها النزوع أو الاستعداد النفسي والعقلي للاستجابة لمثيرات معينة بطرق محددة تحت وطأة الظروف المحيطة. ويعكس تبني الأفراد لاتجاهات معينة قدرة على الاختيار والمفاضلة بين أحكام تمليها الاحتياجات الاجتماعية، أو الحتميات البيولوجية، أو التوجهات العامة المقبولة مجتمعياً. وتتحدد فاعلية الاتجاه عبر أربع وظائف جوهرية تربط بين المثير والهدف، وهي: تحقيق المنفعة، والتعبير عن القيم، وتأمين المعرفة، والدفاع عن الذات.
- **المعتقدات :(Beliefs)** تشمل كل ما يقع في دائرة الإيمان المطلق للفرد ويمنحه الأولوية على ما عداه من بدائل. وتأخذ المعتقدات مناحي متعددة؛ فقد تكون ذاتية محصورة في الفرد (سواء كانت طبيعية وسوية أو مرضية وهوسية)، أو اجتماعية ينقاد لها الفرد تبعاً لثقافة جماعته دون نقد أو تمحيص—خاصة في أبعادها الأيديولوجية. ويأتي على رأسها المعتقد الديني (سواء كان سماوياً أو وضعياً) الذي يظل غالباً بمنأى عن محاولات التحرر أو التشكيك من قِبل الأفراد.

## 2. الثقافة السياسية والوعي المجتمعي علاقة التأثر والتأثير

تتأسس العلاقة بين الثقافة السياسية والوعي السياسي والمجتمعي على محورية **التأثير المتبادل والتكامل البنيوي**، حيث يعمل كل منهما كموجه ومغذٍّ للآخر في ديناميكية تربط بين المستويين الجزئي (النفسي الفردي) والكلي (النسق المجتمعي).

فمن جهة، تشكل **الثقافة السياسية** الحاضنة الوجدانية والمعيارية للوعي، إذ لا يقتصر دورها على التدريب الواعي والمفاهيم العقلانية للمواطنة، بل تمتد لتغرس أبعادا عاطفية عميقة من الولاء، والهوية، والانتماء الجغرافي والإنساني. هذه الأبعاد تُلون توقعات الأفراد وتصوغ مُثلهم المشتركة، مما يمنح **الوعي السياسي** عمقا كافيا ليتجاوز مجرد المعرفة الجافة بالحقوق والواجبات إلى إدراك قيمي ملتزم بقضايا الشأن العام (Pye, Verba,1969)

وفي المقابل، يؤثر **الوعي السياسي** في بنية الثقافة السياسية ويُجددها؛ فحين يتحول الوعي الفردي والطبقي إلى ممارسات عملية واعية (كالمشاركة، وحرية التعبير، ونقد القرار، والدفاع عن المصالح)، فإنه يمثل "وحدة الفعل والقرار" التي يتشكل منها السلوك الجمعي. وعند تجميع هذه السلوكيات والخبرات الفردية الواعية، فإنها

تتدفق مجدداً في شرايين المجتمع لتُعيد صياغة الثقافة السياسية السائدة وتطويرها بما يواكب مقتضيات التغيير والتنمية.

وبذلك، يُمثل التداخل بينهما الجسر التحليلي الذي يدمج المنهجين الكلي والجزئي، حيث تحول الثقافة السياسية الوعي النفسي للفرد إلى طاقة تجميع اجتماعي تضمن تجانس المجتمع، واستقرار النظام، واستقامة "العمران البشري" ككيان جماعي ديناميكي ومتطور(شربال، بلعيور، 2008).

يمكننا ملاحظة تأثير ليس فقط الأبعاد السياسية الصريحة، بل أيضًا جميع الأبعاد غير السياسية ذات الصلة للحياة في تشكيل وتحديد السلوك السياسي. من خلال دراسة المعايير الاجتماعية والاقتصادية للثقافة السياسية، يمكننا فهم القضايا ذات الأهمية التاريخية المتعلقة بالعلاقة بين التنمية الاقتصادية وآفاق التغيير السياسي المستقر.

في تحليل السلوك السياسي، يساعد مفهوم الثقافة السياسية على تقديم صورة متوازنة للأهمية النسبية للاختيار العقلاني والقيم المكتسبة بوعي، والمحددات غير العقلانية الكامنة للسلوك البشري. لا تقتصر عملية التنشئة السياسية على المواقف والمشاعر الراسخة في الطفولة المبكرة والحياة الأسرية فحسب، بل تشمل أيضًا التجارب اللاحقة للتعليم الصريح في السياسة في المدارس، من خلال التعرض لوسائل الإعلام، والتواصل مع عوامل التنشئة السياسية الأخرى.

في الماضي، كان مفهوم الشخصية الوطنية، بوصفه فئة متبقية تُستخدم "لتفسير" جميع الاختلافات التي لا يمكن تفسيرها بالتحليل الموضوعي، يميل إلى التركيز على أهمية اللاوعي لدرجة تجاهل دور العقل في الشؤون الإنسانية بشكل شبه كامل. تتضمن التنشئة السياسية المراحل المبكرة والمتأخرة من تكوين الشخصية والتعلم، وبالتالي يجب أن تتعامل على قدم المساواة مع الصريح والضمني، والظاهر والكامن في العلاقة بين علم النفس الفردي والنظام الاجتماعي.

عند تطبيق تحليل الثقافة السياسية على مسألة التطور السياسي، من الممكن تسليط الضوء على مختلف التوليفات والمجموعات من القيم التي قد تحكم مختلف أنماط التنمية التي قد تكون الأسباب الرئيسية للإحباط وخيبة الأمل بشأن آفاق التنمية الوطنية. في بعض المجتمعات، يبدو أن الثقافة السياسية التقليدية قد وفرت أساسًا جاهزا للتطور الديمقراطي، بينما في مجتمعات أخرى كانت التوجهات أكثر اتساقًا مع الأساليب الاستبدادية (Pye, Verba,1969).

نأمل أن يوفر لنا تحليل الثقافات السياسية المختلفة فهمًا أفضل للسياسات والاستثمارات اللازمة في مختلف الجهات الفاعلة في التنشئة الاجتماعية التي يمكنها إحداث التغييرات المرجوة في سياسة الدولة.

يجب الإقرار بأن مصطلح "التنمية السياسية" حديث نسبيًا في العلوم السياسية. قد يجادل الكثيرون بأن السياسة ظاهرة عالمية، لا تتأثر جوهريًا بالزمان أو المكان، وبالتالي من غير المناسب تصنيفها على أنها "أكثر" أو "أقل" تطورًا كما هو الحال بالنسبة للأنظمة الاقتصادية والهياكل الاجتماعية. ومن الاعتراضات الأخرى المفهومة على هذا المصطلح أنه يبدو أنه ينطوي على أحكام قيمية معينة، مما يزيد من خطر الخلط بين التحليل الموضوعي والدعوة والتفضيلات المثالية. يعود جزء كبير من قوة العلوم السياسية المعاصرة إلى قبول النسبية الثقافية، وإلى الجهود المبذولة لفهم واقع العمليات السياسية الفعلية، وإلى وقف النقاشات حول الدولة المثالية للحكم. ومع

ذلك، ورغم هذه المخاوف المشروعة وغيرها بشأن المفهوم، فإن الحقيقة الواضحة هي أن قادة الدول الجديدة منشغلون بشدة بمشاكل التنمية، ليس فقط الاقتصادية، بل أيضا -وفي كثير من الحالات الأهم - السياسية.

وقد شهدت السنوات الأخيرة تزايدا ملحوظا في فهم ماهية التنمية السياسية. إلا أن من يستخدمون هذا المصطلح يميلون إلى إعطائه معاني مختلفة قليلا.

فبالنسبة للبعض، تعني التنمية السياسية في المقام الأول البيئة السياسية اللازمة للتنمية الاقتصادية والصناعية. وبالتالي، تصبح التنمية السياسية مجرد تهيئة الظروف السياسية والحكومية الضرورية لتحقيق أداء اقتصادي أفضل. يركز مفهوم ثان ومرتبط بالتنمية السياسية على الأداء الحكومي، وبالتالي تنطوي التنمية على زيادة في الأداء الإداري وزيادة القدرة على تنفيذ السياسات العامة. وهذا هو مفهوم التنمية الذي كان غالبا الأكثر ملاءمة للإدارات الاستعمارية المهتمة في المقام الأول بالتنمية العقلانية والبيروقراطية (Pye, Verba,1969)

## ثانيا: النخب السياسية وتوجيه الوعي المجتمعي

### 1. تعريف النخبة السياسية

تعرف النخبة بأنها جماعة محدودة العدد تتحرك في إطار الطبقة السياسية للمجتمع خلال حقبة زمنية معينة، وهي شبكة نفوذ متكاملة تضم كبار مسؤولي الدولة وقادة الإدارة العليا والجيش، إلى جانب العائلات التقليدية التي تستند إلى إرث سياسي عريق كالأسر الأرستقراطية والملكية، وينضم إلى هذه المنظومة أيضاً أصحاب النفوذ المالي من مؤسسي ورؤساء المشاريع الاقتصادية الضخمة (مزيد، 2024)

وبناء على ذلك، لا يرتبط مفهوم النخبة السياسية بالمناصب الرسمية أو بالموقع داخل سلطة النظام السياسي والمعارضة فحسب، بل يتسع ليشمل كل من يمتلك القدرة على ممارسة دور وتأثير فاعلين في السياسة والمجتمع، أيا كانت طبيعة هذا الدور. فالنخبة تتحدد بمدى امتلاكها للمؤهلات الذاتية والموضوعية، فضلاً عن الاستعداد الذاتي للتأثير والتأثر ضمن الخيارات والرؤى الكبرى للمجتمع، وبذلك يتجاوز هذا المفهوم شاغلي المناصب الرسمية ليمتد إلى الفاعلين في الحقل السياسي والاجتماعي. وفي هذا السياق، تساهم المنظومة الانتخابية في المجتمعات الحديثة في فرز وتسيير هذه النخب، حيث تخلق النخبة المنتخبة عبر المجالس البلدية والولائية والوطنية ومجلس الأمة في الجزائر حركية حية بالتعاون مع الناشطين السياسيين، والتنظيمات الحزبية والجمعوية المؤثرة في مجالات الفكر والرأي، إلى جانب الصفوات المالية والاقتصادية والعسكرية المختلفة، وهي جهود تتكامل مجتمعةً لتقود في النهاية إلى إرساء دعائم دولة المواطنة والقانون. (رقيق، 2022)

### 2. النخبة السياسية -بناء وتوجيه -الوعي المجتمعي

#### 1.2. النخبة السياسية والتحول الديمقراطي

يتطلب التحول الديمقراطي الناجح وجود نخب فكرية ديمقراطية تتمتع بحضور فاعل ومؤثر في الأوساط الشعبية ومؤسسات الدولة على حد سواء؛ نخب قادرة على تحويل الفكر الديمقراطي إلى ممارسات حية تقوم على الحوار والمحاججة الفكرية بين السلطة والمعارضة، وتعمل على تطوير هذا الفكر وتعديله عبر نشاط سياسي

تراكمي يؤسس للديمقراطية كآلية للحكم، ووسيلة لفض النزاعات، ومنهج لتبادل الآراء والوصول إلى تسويات توافقية في مناخ يحكمه الحوار، والعلنية، والشفافية، والتدرج، والشرعية، ودعم الصحافة الحرة.

علاوة على ذلك، فإن مسار التغيير الديمقراطي لا بد أن يستند إلى منهجية منتظمة وبإشراف يتسم بالحكمة والنزاهة، وهو ما يستدعي قيادة نخب واعية تدرك حتمية التحول وتؤمن به وتخطط له؛ بحيث تكون هذه النخب مستوعبة لقوانين التحول الديمقراطي ومتطلباته، ومطلعة على تجارب الشعوب وخبراتها التاريخية في هذا المجال. وفي هذا السياق، يبرز التزام النخب السياسية بالمسار الديمقراطي وتبنيها لأجندة واضحة ومحددة لتحقيق هذا الهدف، كأحد العناصر الحاسمة والمصيرية لإنجاز عملية التحول الديمقراطي وضمان استدامة المؤسسات الديمقراطية الناشئة واستقرارها (مزيد، 2024).

### 2.2. النخبة السياسية والتنمية السياسية

تضطلع النخب السائدة في معظم النظم السياسية -ولا سيما في الدول النامية-بأدوار ووظائف متعددة تصب مجتمعة في مسار التنمية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتتحدد هذه الأدوار وتتخصص بناءً على موقع النخبة داخل بنية النظام، وتبعاً للتركيبة الاجتماعية للمجتمعات سواء كانت دينية أو متعددة الثقافات والعرقيات، حيث تتمثل هذه الوظائف أساساً في قيادة التنشئة السياسية والاجتماعية العامة.

وانطلاقاً من مقاربات التنمية السياسية التي تعرفها بوصفها قدرة النخب الحاكمة على تحقيق التطوير والتحديث يبرز الدور المحوري لثلاث جماعات أساسية هي: المثقفون، والعسكريون، والفلاحون. وتشكل المجموعتان الأولى والثانية القوة القيادية المحركة لعملية التغيير الاجتماعي والسياسي، في حين تمثل المجموعة الثالثة الأداة التنفيذية لتحقيق هذه الأهداف. علاوة على ذلك، يمتد دور هذه النخب ليشمل تأسيس المنظمات، ورسم الأهداف الإستراتيجية، وتطوير المجتمع. وفي الدول النامية التي تتسم بنظمها السلطوية، تؤدي الدولة دوراً محورياً في توجيه مسارات التنمية، حيث تنفرد النخب الحاكمة بصنع القرار السياسي مستندة إلى مصالحها الخاصة، وذلك عبر الهيمنة على السلطة التنفيذية وإقصاء السلطة التشريعية إلى أدوار ثانوية. وقد يتركز ثقل هذه السلطة داخل المكتب السياسي، أو عبر معادلة توازن معقدة تشترك فيها أطراف عسكرية، ودوائر حكومية، وقيادات حزبية. وفي هذا السياق، يتجلى الدور الوظيفي للقيادة السياسية في دفع عجلة التنمية السياسية من خلال خمس ركائز أساسية (باقي، 2015):

- ✓ **توجيه المسار العام** :عبر تحديد أهداف المجتمع وصياغتها، وترتيب أولوياتها الإستراتيجية.
- ✓ **إدارة التعددية** :من خلال التوسط بين المصالح المتضاربة وتسوية الخلافات والنزاعات الداخلية.
- ✓ **الحشد والتعبئة** :عبر تجنيد المساندة داخل التنظيمات المختلفة وحشد الدعم والتأييد الشعبي والمؤسسي.
- ✓ **إدارة السياسات** :وتتمثل في صناعة القرارات وتنسيق السياسات العامة لضمان فاعليتها.
- ✓ **التمثيل الرمزي** :بوصف القيادة رمزاً جامعاً للمجتمع ومجسداً لطموحاته وتطلعاته المستقبلية.

### 3.2. النخبة السياسية والإصلاح السياسي والمؤسساتي

أن عملية الإصلاح المؤسساتي ارتبطت بمبادرات فوقية تبدأ من أعلى هرم السلطة بتوجيه من النخبة الحاكمة، غير أن النخبة ذاتها غالباً ما تحبط هذه المساعي عبر ممارسات وإجراءات موازية متناقضة مع جوهر الإصلاح.

ويعود ذلك إلى إدراك النخب السياسية (في النماذج محل الدراسة) بأن أي تحول حقيقي وجذري قد يفضي بالضرورة إلى تقويض مكتسباتها وصعود نخب بديلة؛ لذا فإنها تتوجس من إقرار إصلاحات تمس بالحدود والامتيازات التي رسمتها لنفسها. وتبعاً لذلك، يظل مستهدف الإصلاح السياسي في هذه الدول محكوماً بمسارين: **الأول** يقتصر على تبني تفتيحات شكلية تؤثر في الهياكل المؤسسية من الناحية الفنية والإجرائية فقط، دون الانتقال إلى جوهر الديمقراطية القائم على التداول السلمي للسلطة والشراكة الحقيقية مع مختلف الفاعلين الرسميين وغير الرسميين. أما **المسار الثاني** فيتمثل في الانصياع لإصلاحات حقيقية تستجيب لمستويات الضغط الداخلي والخارجي، مع قبول النخبة لضريبة مغادرة السلطة لصالح قوى صاعدة في إطار ما يُعرف بآلية "دوران النخب".

وبناءً على هذا:

- يعد وجود النخبة السياسية في المجتمعات ضرورة تنظيمية وحياتية؛ إذ تفتقر الجماهير بطبيعتها إلى القدرة الذاتية على التدبير، وتحتاج دائماً إلى فئة قيادية بارزة تتولى مهام التنظيم، والتوجيه، ورسم التوجهات العامة للنظام السياسي وفقاً للمتطلبات الراهنة.
- تظل سلوكيات النخبة الحاكمة وممارساتها انعكاساً لمدى قوة المجتمع أو ضعفه؛ فحينما ترتفع معدلات الوعي الشعبي، وتتمتع مؤسسات المجتمع المدني بالاستقلالية والقدرة على الرقابة، وتبرز معارضة قوية مؤهلة لتقديم البديل (أي عند تحقق توازن القوى بين النخبة والنخبة المضادة)، يُصبح لزاماً على السلطة القائمة الانصياع للصالح العام وإحداث التغيير المطلوب.
- يجب أن ينبع الإصلاح من قناعة النخبة نفسها عبر القبول بمبدأ التداول السلمي على السلطة وتحديث آليات عملها؛ إذ إن فاعلية النشاط المؤسسي تشترط أحياناً بروز عقليات جديدة قادرة على استيعاب المتغيرات المتسارعة وفهم الواقع المعاصر. (بن عمار، 2023)

### 4.2.النخبة السياسية والمجال الثقافي والمعرفي

يتحدد دور النخبة بطبيعة المجال المعرفي الذي تنشط فيه؛ إذ تمكنها هذه التعددية المعرفية من صياغة وتوجيه منظومة القيم المبتغاة داخل المجتمع، وتشكيل رؤاه ومنطلقاته الإستراتيجية. وتتحول هذه المبادئ والقيم المنشودة إلى مناهج عمل عملية لتنظيم الشؤون المجتمعية، غير أنها قد تصطدم أحياناً بالقناعات المحلية والهويات الفرعية السائدة، مما يدفع المجتمع إلى مقاومتها ورفضها بناءً على دوافع حضارية أو موروثات تقليدية. وفي المقابل، نجد النخبة —انطلاقاً من وعيها الخاص— تصر على مواقفها وتسعى لتبريرها، الأمر الذي قد يخلق فجوة تجعل اهتمامات النخبة وهموم المجتمع مسارين منفصلين، وبذلك يتراجع الدور الأساسي للنخبة المتمثل في توعية المجتمع، ونشر قيم الثقافة السياسية الإيجابية، والمساهمة الفاعلة في عملية البناء والتغيير لمواجهة ترسبات الثقافة السابقة

وفي السياق ذاته، يظل الرأي العام الجماهيري راكدا ولا يجد دافعا للتفاعل أو الحراك دون الجهود التنويرية التي تبذلها النخبة المثقفة. وبالتطبيق على الواقع الأردني وما يشهده من تحولات متسارعة على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تبرز حاجة ملحة لتهيئة العامة معرفياً، وتدريب المواطن الأردني وتعويده على مفاهيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وقبول الآخر، وقيم المجتمع المدني. وهنا يتجلى الدور المحوري

للمثقف في صياغة هذه التحولات وتوجيه التغييرات بما يخدم المصلحة العامة للأمة، إلى جانب العمل على توعية المواطن البسيط بحقوقه السياسية والاقتصادية، وتمكينه من المطالبة بها بالوسائل والأساليب العصرية المشروعة (مزيد، 2024).

## المحور الثالث: الفضاء الرقمي و أثره في تحولات الثقافة السياسية

### 1. الفضاء الرقمي كبيئة اتصالية وسياسية جديدة

إن الفضاء الرقمي في جوهره فضاء افتراضي، يمكن من التواصل الفوري دون اكتراث يذكر للمسافة المادية، وقد ناقش ذلك **دانيال لامباخ Daniel Lambach** في مقالته عن الفضاء الرقمي، أفكارا تجعل من هذا الفضاء غير قابلا للتحكم، ويستشهد كدليل على ذلك بـ«إعلان استقلال الفضاء الرقمي" الشهير، الذي حذر فيه **جون بيري بارلو** حكومات العالم قائلا: "باسم المستقبل، أطلب منكم، يا بقايا الماضي، أن تتركونا وشأننا، أنتم غير مرحب بكم بيننا. ليس لكم سيادة حيث نجتمع". وفقا لهذا الرأي، فإن الفضاء الرقمي لا يتضمن وجودا تاريخيا للعلاقات والقوانين الاجتماعية، ويجب إعادة ابتكارها، في مواجهة هذا الواقع، نعيش الآن في "استثنائية الإنترنت"، حيث رسخت التطورات فكرة عدم قابلية الإنترنت للتحكم، رغم أنه لم يعد من الممكن تصور الفضاء الافتراضي منفصلا عن العالم الحقيقي، لكن تبسط الدول سلطتها على هذا الفضاء الرقمي من خلال تطبيق منطقها الإقليمي المألوف على هذه "المنطقة المجهولة" (**نيولاند** كما وصفتها المستشارة الألمانية السابقة أنجيلا ميركل)، حيث تنشئ الشركات، من جهة، مناطق جغرافية عبر متطلبات التسجيل وقيود التشغيل، ومن جهة أخرى، ينشئ المستخدمون من الأفراد مناطق افتراضية في المجتمعات الإلكترونية، ووسائل التواصل الاجتماعي، أو مجموعات الدردشة المغلقة (Lambach, 2019)

أمام هذه الأطروحة التحررية التي روج لها **بارلو** في التسعينيات والتي لم تصمد أمام واقع تمدد الدول الرقمية، مما يعكس وعيا تاريخيا بأن التكنولوجيا ليست محايدة، كما كشفت الأطروحة أن مستويات السلطة أصبحت متعددة (دول، شركات، أفراد) وهو ما يخرج النقاش من ثنائية الطرح (الحرية مقابل القمع) إلى صراع معقد بين عقلانيات متضاربة: عقلانية الدولة (الأمن)، وعقلانية السوق (الربح)، وعقلانية الفرد (الخصوصية). وهنا نتساءل هل يمكن اختراع علاقات اجتماعية من الصفر دون استحضار الخلفية الثقافية لمستخدمي الإنترنت؟ قد يبدو الأمر بديهيا أن الإجابة هي لا، لكن الطرح يفيد بأن مستخدمي الإنترنت يستوردون (ينقلون إن صح القول) تلقائيا ثقافاتهم السياسية المحلية (السلطوية، الجماعية، أو الفردية) إلى تفاعلاتهم الرقمية، حتى لو كانت المنصة عالمية، وبالتالي يصبح الفضاء الرقمي مناسبا لتشكيل ونشر ثقافات سياسية متعددة.

ومن هذا المنطلق، يرى كل من **Mark Bromley and Howard Tumber** أن الفضاء الافتراضي يحدث تغييرا جذريا في تفاعل الجمهور مع السياسة، إذ لم يعد مجرد أداة مساعدة بل تحول إلى بيئة موازية تعيد تعريف العديد من المفاهيم، بحيث يتيح سبلا جديدة للتفاعل والمشاركة ونشر المعلومات السياسية، فهو يسهل الوصول الفوري والتفاعلي، ويمكن المواطنين من الوصول المباشر إلى المحتوى السياسي والتواصل مع الشخصيات أو الجماعات السياسية دون عوائق الإعلام التقليدي، كما تعزز المنصات الإلكترونية التفاعل، كالتعليق والمشاركة والتنظيم، مما يسهم في تعزيز المشاركة المدنية والوعي بالقضايا. علاوة على ذلك، يتيح تجارب سياسية مخصصة، حيث يمكن للمستخدمين البحث عن معلومات تناسب اهتماماتهم والتأثر بوجهات نظر متنوعة، مما قد يؤدي إلى مواطنين أكثر وعيا ومشاركة فعالة. مع ذلك، يمكن أن يساهم أيضا في التشرذم وظهور غرف الصدى، حيث يصبح التفاعل مستقطبا داخل المجتمعات المتشابهة في التفكير. إجمالا، يحول الفضاء

الرقمي التفاعل السياسي من استهلاك سلبي إلى مشاركة فعالة، مشكلا بذلك ديناميكيات جديدة في العملية الديمقراطية (Howard, Bromley,1998).

إن هذا القول بأن الفضاء الافتراضي أحدث تغييرا جذريا في تفاعل الجمهور مع السياسة هو قول يحتاج إلى مراجعة، فما يقدم على أنه تمكين للمواطن قد يكون في جوهره شكلا جديدا من أشكال التسلط الخفي، صحيح أن المنصات الرقمية تتيح وصولا فوريا للمحتوى السياسي، لكن هل يترجم هذا الوصول إلى تأثير حقيقي في صناعة القرار، أم أنه مجرد تنفيس افتراضي يخلق وهم المشاركة؟ فالتعليق والإعجاب لا يعادلان التصويت في صناديق الاقتراع، ولا يحلان محل العمل المؤسسي المنظم.

كما أن الخوارزميات التي تروج لها المنصات باعتبارها تخصيصا للمحتوى هي في واقع الأمر آلات لتضييق الفهم، إذ تحبس المستخدم في فقاعات رقمية لا ترى إلا ما يؤكد قناعاتها، مما يعمق الانقسام المجتمعي بدلا من أن يبني جسورا للحوار الناقد والبناء، فغرف الصدى ليست مجرد ظاهرة عابرة، بل هي بنية متأصلة في تصميم هذه المنصات، لأنها تضمن بقاء المستخدم أطول وقت ممكن يبحر فيها، وهو ما يخدم مصالح الشركات لا مصالح الديمقراطية. بل أن المفارقة الأكبر تكمن في أن الفضاء الرقمي، الذي يفترض أن يحرر المعلومات، أصبح أداة مثالية للتضليل والهندسة الاجتماعية، وإعادة تشكيل الثقافات، وحوادث تسريب بيانات المستخدمين أو حملات التدخل في الانتخابات خير دليل على ذلك، فبدلا من أن يكون جوهر الفضاء الرقمي هو بناء الوعي المجتمعي، قد يتحول في أي لحظة إلى ساحة للصراع على النفوذ ومصالح دول معينة وشركات وجماعات محددة، إذ تتنافس جميعها على من يشكل وعي الجمهور أولا وفق أجنداته.

وقد يبدو للبعض الأمر بديهي، لكنه يثير العديد من الإشكالات والتساؤلات هل يعيد الفضاء الرقمي تشكيل علاقات السلطة؟ وهل أصبح الموجه الأول لسلوكيات الأفراد؟ وهل هو صمام بناء الوعي المجتمعي؟ إن هذه التساؤلات تقودنا للبحث المعمق والمستنير في دور الفضاء الرقمي في إعادة تشكيل معايير الثقافة السياسية، التي ومنذ بلورتها حسب ما عبر عنه لوسيان باي وسيندي فيربا بأنها مجموع المواقف والمشاعر والمعارف التي تشكل وتوجه السلوك السياسي في أي مجتمع ليست مجرد تجمعات عشوائية، بل هي أنماط متماسكة ومتكاملة ومترابطة، فعلى الرغم من الإمكانات الهائلة للتنوع في التوجهات السياسية، يمتلك كل مجتمع ثقافة سياسية محدودة ومتميزة تضفي على العملية السياسية معنى وتوقعات وشكلا (Pye, Verba,1969).

من هذا المنظور للثقافة السياسية، فإن لكل مجتمع ثقافته السياسية المحدودة والمتميزة، بيد أن هذا التصور التوافقي، رغم قيمته التأسيسية، يصطدم بتحولات راهنة تكشف التحديات الراهنة؛ فالثقافة السياسية ليست كتلة متجانسة، بل هي حقل صراع دائم بين ثقافات فرعية متعددة (طبقية، جهوية، عرقية، وحتى جيلية) تتنافس على النفوذ والمعنى، وكثيرا من تماسكها الظاهري يعكس هيمنة ثقافية تمارسها النخب الحاكمة عبر مؤسسات التنشئة -كما ناقش غرامشي في مفهوم الهيمنة-، والأكثر تعقيدا أن الثورة الرقمية قد أحدثت قطيعة مع آليات التنشئة التقليدية، حيث أصبحت خوارزميات التواصل الاجتماعي، والذكاء الاصطناعي، فواعل رئيسية في تشكيل الوعي السياسي بوتيرة لحظية ومجزأة، مما ينتج وعيا متزعزعا -هشا إن صح القول-، يتسم بالاستقطاب. وعليه، فإن الثقافة السياسية في العصر الرقمي لم تعد إطارا مستقرا يورث عبر الأجيال، بل أصبحت متغيرة، سائلة، وقابلة لإعادة التشكيل في ثوان معدودة، مما يفرض علينا تجاوز النماذج الكلاسيكية، والانخراط في مقاربات تركيبية تستوعب تعقيدات العصر، وتناقضاته المعرفية والتقنية والسياسية.

### 2. تأثير الفضاء الرقمي على تشكيل الوعي المجتمعي

هناك تأثير عميق لا يمكن اغفاله أو انكاره للفضاء الرقمي على تشكيل الوعي المجتمعي وإعادة إنتاج التصورات المجتمعية، حيث لم تعد المنصات الرقمية مجرد أدوات تواصل، بل أصبحت فاعلا رئيسيا في هندسة الإدراك العام، وتوجيه الانتباه، وبناء الأعراف الاجتماعية الجديدة، فخوارزميات التوصية مثلا، التي تقوم على تعزيز المحتوى الأكثر إثارة للاستجابة العاطفية، تعمل بفعالية على تكثيف الاستقطاب الاجتماعي، وتغذية الخطابات المتطرفة، وإضعاف القدرة على الحوار العقلاني، كما شهدنا في انتشار نظريات المؤامرة التي تبرز أوقات الأزمات، أو في تضخيم الخطاب العنصري والكراهية عبر منصات التواصل، ونفس الشيء تمت ملاحظته حول القضية الفلسطينية والعدوان على غزة أين تم حجب العديد من الفيديوهات التي توضح وحشية الاحتلال، وتأويل الأحداث من جانب واحد بهدف تغليط الرأي العام.

ومن هذا المنطلق يؤكد الأستاذ نصر الدين لعياضي على حجم التأثير الذي أحدثه هذا الفضاء الرقمي على حياتنا، ومن ثم على وعينا وإدراكنا، حيث العديد من نشاطاتنا اليومية أصبحت تتطلب الولوج إلى شبكة الانترنت والاستعانة بالمنصات الرقمية، حيث اقتنع بعض الباحثين بأنه من الصعوبة فصل الخوارزميات عن الأنشطة التي تشكل ثقافة الفرد المعاصر، إن "**التركيم البياناتي**" أضحى مسارا ثقافيا أكثر منه ظاهرة تقنية، وعلى هذا فإن خطر الخوارزميات لا يكمن في جعل حياة المرء مكشوفة للغير فحسب، بل في تأثيرها عليه أيضا بشكل ضمني ومبطن، إنها قوة خفية توجه المرء؛ أو بالأحرى توجه اختياراته: فيما يستهلك، ويقرأ، وما يسمع، وما يشاهد، .....إنه أصبح ببساطة ضحية الخوارزميات (لعياضي، 2020).

ومن هذا المنطلق، ناقش **لانغدون وينر Langdon Winner** ما يسميه بالسهل التكنولوجي " **technological somnambulism**" حيث يعتبر أننا في ظل التكنولوجيا والفضاء الافتراضي نسير طواعية نائمين خلال عملية إعادة تشكيل ظروف الوجود الإنساني، كون للتكنولوجيا آثارا، لكنها قادرة أيضا على إعادة هيكلة عالمنا المادي والاجتماعي، وبالتالي كيفية عيشنا، بحيث أن تجربة المجتمع المعاصر تظهر لنا أن التقنيات ليست مجرد أدوات مساعدة، بل هي أيضا قوى مؤثرة تعمل على إعادة تشكيل هذا النشاط ومعناه، فعلى سبيل المثال إدخال الروبوت إلى مكان العمل لا يزيد الإنتاجية فحسب، بل غالبا ما يغير عملية الإنتاج جذريا، معيدا تعريف معنى "العمل" في ذلك السياق، وبالتالي لا تصبح هذه التكنولوجيا مجرد أدوات، بل تنخرط في ظروف الحياة الاجتماعية والأخلاقية (Winner, 1983).

وهذا ما يؤكد على أن التكنولوجيا تلعب دورا في إعادة تشكيل حياتنا بشكل أو بآخر، والتأثير على أفكارنا وتوجيه سلوكياتنا، وإذا حاولنا اسقاط المبدأ السابق على المجال السياسي فإننا نجد أن إدخال منصات التواصل الاجتماعي إلى العملية الانتخابية لا يزيد نسبة الإقبال على التصويت، بل غالبا ما يغير طبيعة الحملات الانتخابية (هذا ما تمت ملاحظته من خلال الحملات الانتخابية للاستحقاقات التشريعية لسنة 2026 والتي تمت عبر منصات التواصل اجتماعي سواء من خلال نقل الزيارات الميدانية للمدن، أو عرض الخطابات ومحاولة التعبئة في الشوارع، وهو ما يظهر أيضا في عرض محتوى نشاطات مرشحين محددين مقارنة بالآخرين)، وبالتالي يمكننا القول أن الفضاء الرقمي يعني تعريف معنى التمثيل السياسي في هذا السياق، إذ يصبح المرشح يروج له عبر الخوارزميات، وهذا ما يمكنه تغيير أيضا طريقة تفكير الناس في مفهوم الإرادة الشعبية، فتصبح الآراء قابلة للقياس والتنبؤ والتوجيه.

إن هذه التغييرات واسعة النطاق من هذا النوع في تقنيات الاتصال والتحليل والاستهداف الجماهيري وما يشابهها، هي إلى حد كبير ما يميز السياسة المعاصرة عن السياسة في مراحل سابقة من التاريخ، لكن المفارقة أن هذه التقنيات، التي وعدت بتعميق الديمقراطية، قد تتحول إلى تقنيات موجهة، وأدوات للاستقطاب والتضليل، أين تعزل المواطن عن التنوع الفكري، وتعمق الانقسام بدلا من أن تبني التوافق، وهكذا، تصبح الأشياء التي نميل إلى اعتبارها مجرد كيانات تكنولوجية محايدة -كمنصة إلكترونية أو خوارزمية توصية- أكثر إثارة للاهتمام عندما نبدأ في ملاحظة مدى انخراطها في شروط الحياة السياسية والأخلاقية، إذ تطرح أسئلة جدلية حول المشاركة، المواطنة، الوعي، السيادة، والعدالة في العصر الرقمي.

فعلى سبيل المثال لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا في ربط الشباب ببعضه خلال الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها كل من مصر وتونس سنة 2011، وهو ما أكد عليه **باولو غيرباودو Paolo Gerbaudo** في كتابه الموسوم بـ"التغريدات والشوارع" **"Tweets and the Streets"**، أين ناقش الدور المحوري لوسائل التواصل الاجتماعي في حشد الناس، على غرار منصة فايسبوك التي كانت تستخدم لتحديد المواعيد وتشكيل مجموعات وإقامة الروابط، ومنصة تويتر التي كانت تستخدم لتبادل المعلومات اللوجستية، ويوتيوب لعرض الأحداث للعالم، كل ذلك من أجل ربط الناس. كما سرد الصحفي في بي بي سي، بول ماسون أدوار الحشد والتعبئة والمشاركة، واعتبر أن الناس الآن يعرفون أكثر مما كانوا يعرفون ولديهم وصول أكبر وفوري إلى المعرفة وطرق موثوقة لمواجهة المعلومات المضللة، وبالتالي تجاوزت هذه الآليات عمليات جمع الأخبار بالطريقة التقليدية التي تقوم بها وسائل الإعلام، واكتسب السكان المرتبطون بالشبكات وصولا أكبر إلى المعلومات، وفرصا أكثر للمشاركة في الخطاب العام، وقدرة على القيام بالعمل الجماعي (Gerbaudo, 2012)

يتبين مما وثقه كل من باولو غيرباودو والصحفي بول ماسون أن هذا التحول لم يكن مجرد تطوير تقني في أساليب التعبئة الميدانية، بل مثل تحولا جوهريا في الثقافة السياسية ذاتها؛ إذ انتقل الفعل السياسي من كونه ممارسة مؤسسية تقوم على التمثيل والتفويض، إلى فعل يومي لحظي تعاوني يمارسه المواطن مباشرة من خلال شبكات تواصله الاجتماعي، مما أدى إلى تفكيك احتكار النخب والأحزاب والإعلام التقليدي للمعرفة السياسية، واستبدال ثقافة الانتظار والسلبية بثقافة المبادرة والتدخل المباشر، حيث أصبح الميدان المادي امتدادا للفضاء الافتراضي، وأصبحت الهاشتاجات والتنظيم الذاتي عبر المجموعات الرقمية بديلا عن القيادة الهرمية والمركزية، وهو ما أسفر عن ثقافة سياسية جديدة تتسم بالمرونة واللامركزية، لكنها في الوقت ذاته أكثر هشاشة وسرعة في التلاشي، ومع أنها وسعت دائرة المشاركة ومنحت المواطنين وصولا فوريا إلى المعرفة وقدرة على مواجهة التضليل، إلا أنها أوجدت أيضا ثقافة الشك الدائم في كل ما هو قائم من مؤسسات وأشخاص، لتصبح وسائل التواصل الاجتماعي ليست مجرد أدوات مساعدة للعمل السياسي الميداني، بل هي الفضاء الذي يعيد تعريف مفاهيم المواطنة، العمل الجماعي، والسلطة في العصر الرقمي.

هنا يمكن القول أن الفضاء الرقمي يعيد تشكيل الهويات الفردية والجماعية، من خلال منح الأفراد مساحات غير مسبوقة للتعبير عن الذات، إلا أنه في الوقت ذاته قد يحبس المستخدمين داخل دوائر مغلقة من الرأي، حيث تصبح الحقيقة مجرد نتاج للميول الشخصية المعززة آليا، لا نتاجا لفعل معرفي نقدي، وهذا ما من شأنه مفاقمة الأزمة المعرفية في العصر الرقمي، حيث تتراجع الثقة في المؤسسات التقليدية (كالإعلام، والقضاء) لتحل محلها سلطة المؤثرين الرقميين والخوارزميات غير المرئية، مما ينشئ جيلا سهلا في التوجيه، صعبا في الإقناع، وقابلا للاستقطاب بدرجات غير مسبوقة. وإذا كان الفضاء الرقمي يحمل إمكانيات هائلة للتنوير والمشاركة

الديمقراطية، فإنه – في غياب وعي نقدي جماعي، وتنظيم أخلاقي، وسياسات رقمية شاملة – يظل أداة مزدوجة الاستخدام، يمكنها أن تنير العقول، أو أن تعيد إنتاج أشكال جديدة من الهيمنة الثقافية والسياسية، ربما تكون أكثر خفاء وفعالية من تلك التي مارستها المؤسسات التقليدية عبر التاريخ.

ويبقى الفضاء الرقمي ليس بديلا عن العمل السياسي التقليدي، بل هو امتداد له محفوف بالمخاطر، يحتاج إلى تنظيم قانوني أخلاقي، وإلى وعي نقدي من المواطن نفسه، كي لا يتحول من مستهلك سلبي للتقنية التقليدية، إلى مستهلك أكثر سلبية للتقنية الرقمية تحت وهم المشاركة الفعالة.

## IV.خاتمة

في الأخير يمكننا القون أن الثقافة السياسية لم تعد نتاجا للتنشئة المركزية وحدها، ولا يمكن اختزالها فيما تقدمه المؤسسات الرسمية أو النخب التقليدية، بل هي اليوم نتاج تفاعل معقد بين قوى عديدة يلعب فيها الفضاء الرقمي دورا هاما وبارزا، أين انتقلنا من آليات التوجيه القديمة، إلى آليات التنشئة المؤسسية وأدوات التشكيل الرقمية، وهذا ما يتطلب وعيا متناميا بحساسية التأثير في ظل الواقع الجديد، وعليه خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نحاول إجمالها في:

- ✓ إن الفضاء الرقمي لا يصنع وعيا من العدم، بل يعمل على تعزيز وتفعيل وتعديل ما هو موجود أصلا في البنية الثقافية للمجتمعات، وهذا يفسر لماذا تكون تأثيراته مختلفة من مجتمع لآخر، ومن سياق لآخر؛
- ✓ إن العلاقة بين النخب والفضاء الرقمي ليست علاقة صراع حتمي بل هي علاقة جدلية، يمكن أن تأخذ أشكالا متعددة: من التوظيف المتبادل، إلى التنافس الخفي، تحدد النخب شكل هذه العلاقة من خلال مدى قدرتها على استيعاب التحولات، ومدى وعي المجتمع بآليات التأثير؛
- ✓ إن الوعي ليس متطلبا تكميليا في العصر الرقمي بل هو ضرورة وجودية للفرد، كونه يفرض على كل فرد أن يكون قادرا على التمييز بين المصادر، تحليل الخطابات، كشف التضليل، وإدارة انتباهه وسط المحتوى المتنامي؛
- ✓ إن مستقبل الثقافة السياسية ليس محددا مسبقا، بل هو رهان مفتوح على قدرة المجتمعات على إنتاج آليات جماعية لضبط الفضاء الرقمي، وتطوير مهارات مواطنيها، وإصلاح مؤسساتها، وإعادة تعريف دور النخب بما يتناسب مع متطلبات العصر، وهو رهان أيضا على قدرة الفرد بحد ذاته في الحفاظ على استقلاليته الفكرية وسط كل الفواعل والآليات التي تريد توجيهه.

## V.المراجع

### أ/ باللغة العربية


1. أبو شعره خالد محمد، غباري ثائر أحمد، **الثقافة وعناصرها**، ط1(عمان، مكتبه المجتمع العربي للنشر والتوزيع 2013).
2. باقي ناصرالدين، **النخبة السياسية ودورها في التنمية السياسية في الجزائر 1996-2014**، رسالة ماجيستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 03، 2014-2015

3. بن عمار أمينة، بوضياف مليك، **النخبة السياسية ودورها في عملية الإصلاح السياسي في الوطن العربي**، المجلد 10 العدد: 01، 2023.

4. بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، **لسان العرب**، (القاهرة: دار العرب، 2000).

5. رقيق عبد الله، عثماني نعيمة، **النخب السياسية والعمل الجمعوي دراسة ميدانية بمدينة الوادي – الجزائر**، جملة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 10، العدد 01، 2022.

6. شربال مصطفى، بلعيور الطاهر، **الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع**، **مجلة الأبحاث نفسية والتربوية**، مجلد 09، العدد 03، جوان 2008.

7. صاغور هشام، **النخب السياسية: دراسة مفاهيمية على ضوء النظريات المفسرة**، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 50، العدد 01، جوان 2016.

8. طاشور محمد، **الفضاءات الرقمية دعامة القراءة في ظل التكنولوجيات الحديثة**، اشارة مجلة علوم المعلومات، العدد 04، ديسمبر 2015.

9. عبد السلام مزيد ساره، **دور النخبة السياسية في عملية التحول الديمقراطي في الأردن**، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، المجلد 16، العدد 35، 2024.

10. قرواز نجمة، **في ماهية الثقافة ومميزاتها بين كونية "تايلر" ونسبية "بوا"**، مجلة الناصر، المجلد 19 العدد 01 سبتمبر 2024.

11. كوش دنيس، تر: منير السعيداني، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، (بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 2007)

12. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1966).

**ب/ باللغة الإنجليزية**

13. Gerbaudo Paolo, **Tweets and the Streets: Social Media and Contemporary Activism**, 1st published. (London: Pluto Press, 2012).

14. Howard Tumber, Bromley Mark. "Virtual Soundbites: Political Communication in Cyberspace." Media, Culture & Society, vol. 20, no. 1, 1998.

15. Lambach Daniel, The Territorialisation of Cyberspace, International Studies Review 0,2019, p 1–25

16. Pye Lucian W, Verba Sidney**, Political Culture and Political Development**. 1st edition, (New Jersey: Princeton University Press, 1969).

17. Winner Langdon, Technologies as Forms of Life. in: Robert Sonné Cohen, Marx. W Wartofsky (eds) Epistemology, Methodology, and the Social Sciences. **Boston Studies in the Philosophy of Science,** vol 71. Springer, Dordrecht,1983.

**ج/ المو اقع الالكترونية:**

18. لعياضي نصر الدين، (2020) جمهور الإنتاج السمعي-البصري والخوارزميات: الترويض المتبادل، متوفر عبر الرابط التالي: https://nlayadi.com/2020/01/22/1118/، تاريخ الزيارة 2026/04/01، على الساعة 22:15.